النشـــــــــــرة

تصــــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٢٢ / ٢٠٠٠
الأحد ٢٨ أيار
أحد السامرية
تذكار القديس الشهيد في الكهنة
افتيشيس(سعيد) أسقف ملطية

اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (أعمال ١١ : ١٩ - ٣٠)
الإنـــجـــيـــل (يوحنا ٤:٥-٣٩)

+ السامرية

«نسبّح الإله الواحد في ثلاثة، الممجَّد من الكـــل، الآب والابـــن والـــروح الإلهي الذي تسبّحه الطغمات السماوية بخوف هاتفة: قدوس، قدوس، قـــدوس أنـــت هو إلى الأبد» (سَحَر أحد السامرية).

في الأحد الرابع بعد الفصح نقرأ المقطع الإنجيلي من بشارة الرسول يوحنا (٤: ٣-٤٥) الذي يسرد حادثة لقاء الرب يسوع بالمرأة السامرية عند بئر يعقـوب، والحوار اللاهوتي المهم الذي جرى بينهما.

لقد كان يسوع منطلقاً من اليهودية إلى الجليل و«كان لا بد له أن يجتاز السامرة» (آية ٤). مرَّ بقرية سوخار وكان الوقت ظهراً (الساعة السادسة حسب التوقيت القديم)، فجلس قرب بئر ماء معروف باسم بئر يعقوب فيما ذهب تلاميذه لابتياع الطعام. أتت امرأة سامرية تريد ملء جرتها من البئر فسألها يسوع أن تسقيه، وهو العالم بخفايا قلوب البشر وأعمالهم. هكذا هو الله، يعلم أننا خطأة لكنه يحاول دائماً أن يستردنا إليه لنخلص. كان يعلم أنها سامرية، والسامريون لا يتكلّمون مع اليهود، ويعلم انها خاطئة. رغم ذلك، طلب منها ماءً ليشرب. وكانت المرأة السامرية، ككل واحد منا، تحفظ قشور الشريعة وتهمل الجوهر. هذا ما أظهره لها الرب. فهي تتمرّغ بالخطيئة، وقد تزوجت خمسة رجال، وتعيش الآن مع رجل ليس زوجها، لكنها ترددت في إعطاء الماء ليسوع خشية أن تخطئ. وأي الأمرين الأسوأ؟ دخل يسوع مع المرأة في حوار إيجابي لكي لا يجفلها فتبتعد أكثر عن الله، وهذا ما لا نعمله دوماً، ولكي يوصلها في الأخير إلى انه ينبغي أن نسجد لله بالروح والحق.

قالت له «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل (جرزيم) وأنتم تقولون ان في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه» (آية ٢٠). هذا يدل على انها كانت تعرف الخلاف العقائدي بين السامريين واليهود. يتخطى يسوع هذا الخلاف مشيراً إلى العبادة الواحدة التي ستكون عليها الكنيسة في المستقبل: عبادة الآب بالروح والحق أي ليس حسب ناموس موسى ولا حسب شريعة اليهود والسامريين وسائر البشر. هي تحاوره حول طقوس دينية ومواصفات خارجية، أما هو فيجيب: «يا امرأة صدّقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب... ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (٢١-٢٤).

هذه الكلمات الواردة في إنجيل يوحنا تشكل مفصلاً أساسياً في فهمنا للمسيحية وللعبادة فيها. كأننا بيسوع يهمل الطقوسية الخارجية والعاطفية والشكلية، ليقول إن العبادة بالروح الحق هي سعيك إلى أن تفكر بالحق وتقول الحق، بل وتتنفس الحق، مُتحداً إرادتك بإرادة الله، وتاركاً الروح القدس يقود روحك وحياتك كلها. وهذا ما قد يزعج الكثيرين حولك.

إنها كلمات ثورية من الداخل، بها أسّس الرب يسوع للمسيحية. لقد كان الدين لغاية زمن يسوع مجموعة من الفرائض والشرائع والنواميس. وكان الالتزام الديني هو إلتزام أعمى وخضوع مطلق لهذه الفرائض. وقد يكون بعضها ليس من الله: «لهذا أعطاكم موسى الختان. ليس انه من موسى بل من الآباء. ففي السبت تختتون الإنسان» (يوحنا ٢٢:٧)، و«قال لهم ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا» (متى ٨:١٩)، و«باطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس» (متى ٩:١٥). كان الشعب، بتوجيه من القادة الروحيين، يتلهى بالقشور. هل يجب السجود هنا أو هناك، بهذه الطريقة أو تلك. وكانوا يظنون أنهم بأفعالهم هذه يستطيعون محو خطاياهم ولا يعلمون أن الله كان يقول: «لا تعودوا تأتون بتقدمةٍ باطلةٍ. البخور هو مكرهةٌ لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف... صارت عليَّ ثقلاً... اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كُفوا عن فعل الشر. تعلَّموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة...» (اشعياء ١: ١٣-٢٠). لقد قال يسوع ان هذا الشعب يقترب إلي «بفمه ويكرّمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعدٌ عني بعيداً» (متى ٨:١٥). لقد بنى الشعب قفصاً لنفسه وظن أنه يستطيع أن يحجز الله فيه، لكن لا يمكن حصر السجود والعبادة لله في مكان محدد، لأن معرفة النعمة الإلهية منتشرة في كل مكان. مع يسوع لم يعد للنواميس الحرفية من مكان. «أريد رحمةً لا ذبيحة» (متى ١٣:٩). إن عطية الخلاص ينبغي أن تنتشر في كل المسكونة، ويجب ألاّ نعبد بخوف وعمىً، بل بمعرفة وحرية ومحبة، كمحبة الطفل لوالده.

لقد قال يسوع لتلاميذه «تعرفون الحق والحق يحرّركم» (يوحنا ٣٢:٨). والحق هو أن يسوع هو ابن الله المخلّص القائم من بين الأموات. ولهذا فإننا عندما نعبد الآب، فنحن نعبده بالحق، أي بالإبن الذي قال «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ٤:١٦). ولأننا نعلم من هو هذا الابن فإننا بالروح والحق نسجد للآب. ولأننا نعرف الابن فنحن نسجد **لما نعلم**، وليس كما قال يسوع للسامريين «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون» (يو ٢٢:٤). ولهذا فإننا عندما نقيم الطقوس والصلوات، التي قد يتهمنا البعض انها من وضع البشر، لا نتزعزع لأننا نعلم ان يسوع ابن الله القائم من بين الأموات هو مركز هذه الطقوس وفحواها، لذا نحن واثقون أنها مقبولة أمام الله لأنه «يوجد وسيطٌ واحدٌ بين الله والناس: الإنسان

يسوع المسيح» (١ تي ٢: ٥). وإن يكن قد تشوّه مفهوم بعض الطقوس بسبب سوء الممارسة، إلا أن الأصل يبقى كما هو، لأن الرب هو هو أمس واليوم وغداً.

الخطر الأساسي الذي تواجهه المسيحية اليوم هو تحوّل عبادتنا من الروح والحق إلى مجرد عادات نقوم بها. لأنه ماذا ينفع أن نقدّم الذبائح والقرابين ولا نحب بعضنا ولا نطبق وصايا الرب. ينبغي كما يقول الرب أن نفعل هذه ولا نهمل تلك. «القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الرب... حينئذ تسر بذبيحة العدل قرباناً ومحرقات» (مز ٥٠). المشكلة اليوم أننا فقدنا كثيراً من المعاني الأصلية لطقوسنا وعاداتنا التي وضعها أناس اختبروا القداسة والعيش مع الله، وقدّموا لنا من خبراتهم لكي تتاح لنا أيضاً الفرصة لنصل إلى القداسة. وهذا عائد إلى إهمال القيادة الروحية، قلّة الوعظ والإرشاد والتوعية. وقد يكون بسبب تزمت بعض الكهنة والمرشدين وتصرفاتهم التي قد يدفعون بعض المؤمنين إلى الهرب نحو المجهول.

لقد سميّت السامرية في تقليدنا الكنسي «فوتيني» أي المستنيرة، لأنها استنارت في قلبها بنور معرفة المسيح وعرفت الحق وسجدت له بالروح والحق. صلاتنا أن يزرع الله في نفوسنا الحق الذي لا يتزعزع لنبقى شاهدين للحق إلى الأبد وساجدين له، ثابتين في الإيمان.

+ الشهيد يوستينوس

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الأول من حزيران لتذكار القديس الشهيد يوستينوس الفيلسوف الذي لم يحسب علومه الفلسفية كشيء أمام الحق الذي وجده في الرب يسوع، ولم يبخل بجسده هدية على مذبح الرب.

ولد القديس يوستينوس في أوائل القرن الثاني في مدينة شكيم (نابلس) في السامرة من والدين وثنيين. تلقى مختلف علوم الدنيا وبرع فيها، وكان لديه توق دائم لمعرفة الحق والخير الأعظم، فأخذ يغوص في الفلسفة متنقلاً بين مختلف التيارات الفلسفية، لكنه تعمق في الفلسفة الأفلاطونية، وصار يعتز بنفسه انه بلغ معرفة الحق في فترة وجيزة.

لكن مقاصد الله غير مقاصد البشر. فيما كان يوستينوس يسير على شاطئ البحر متفكراً في الأشياء السامية ظهر له بغتة ملاك بهيئة شيخ جليل وشرع يكلّمه مبرهناً له حقيقة الإيمان بالمسيح، وان الفلسفة الحقيقية هي معرفة الله.

وحثه الشيخ على قراءة كتب الأنبياء الذين كشفوا الأسرار الإلهية وخاصة تجسد ابن الله.

انكب يوستينوس على قراءة الكتاب المقدس وتأكد من الحقائق الإلهية، واعتنق المسيحية واقتبل المعمودية نحو سنة ١٣٣ وكان في الثلاثين من عمره. من أقواله أن أحد البراهين على صحة المسيحية شجاعة المسيحيين واندفاعهم نحو الشهادة دون خوف، وزهدهم بأمور هذه الدنيا الفانية.

كان يواظب على قراءة الكتاب والصلاة والتأمل إضافة إلى سيرة نسكية. سيم كاهناً فكان كالسراج على المنارة، يرشد الضالين ويدافع عن المؤمنين أمام اليهود والوثنيين. كما اعتبر ان معرفته للكتاب هي نعمة من الله يجب أن يوظفها في نقل الكلمة للمؤمنين والدفاع عنهم حتى لو قاده الأمر إلى الاستشهاد.

قصد روما فكان خير مدافع عن المسيحيين في تبريرهم من تهم الوثنيين الكاذبة. كتب رسالة مطوّلة للملك أنطونيوس عام ١٥٠ يوضح فيها قداسة الديانة المسيحية وطهارة طقوسها ونقاوة عبادتها وبراءة تابعيها ويشرح كيفية تحقيق نبوءات الأنبياء بيسوع المسيح. ثم أورد شرحاً عن طقسي المعمودية والافخارستيا. في المعمودية «نحن نكرّس ذواتنا لله بتجديد ميلادنا بيسوع المسيح». أما الافخارستيا فلا «يمكن لأحد أن يشترك بها إلا بعد أن يكون اعتقد بتعليمنا وجدّد ميلاده مغتسلاً من آثامه بواسطة ذاك الغسل السماوي وسار بموجب ما علّمه المسيح. فهذا الخبز ليس هو خبزاً عمومياً ولا الخمر هو مشروباً اعتيادياً... نحن نعلم بأنه بقوة الصلاة الحاوية كلماته الإلهية هو جسد الكلمة المتجسد ودمه». وما كتبه القديس يوستينوس في رسالته هذه هو أقدم ما وصل إلينا عن شكل القداس الإلهي في القرون الأولى. هذه الرسالة دفعت الملك إلى منح الكنيسة فترة هدوء وسلام.

اغتنم يوستينوس فترة الهدوء وشرع في تشديد المسيحيين في كل مكان. فزار عدداً كبيراً من المدن وفي أفسس تحاور مع أحد اليهود فأفحمه مبيّناً رداءة اليهودية وعظمة المسيحية. لكن الهدوء لم يدم طويلاً إذ تجددت الاضطهادات مع الملك الجديد مرقس. تحرك الفلاسفة ضد المسيحيين وطلبوا مجادلة يوستينوس. اختاروا أفضل فيلسوف لمنازلة القديس، لكن نعمة الله كانت معه فهزم الفيلسوف وفضح رداءته وخبثه. ثم كتب يوستينوس رسالة ثانية إلى الملك يوضح فيها كذب الفلاسفة ورياءهم. وأورد في هذه الرسالة قصة المرأة الوثنية التي كانت تعيش

في سيرة رديئة مع زوجها واهتدت إلى الإيمان المسيحي فصارت تعيش حياة القداسة والفضيلة التي أمر بها الرب يسوع. ولما ابتعدت عن رجلها وشى بها وبمرشدها عند الوالي أنها مسيحية. قبض والي روما على المرشد وسأله إن كان مسيحياً، ولما رد بالإيجاب أمر بإخضاعه لأشد العذابات، ولما اعترض أحد الأشخاص على الظلم اللاحق بالمرشد، أُخضع هو أيضاً للعذابات.

غضب الفلاسفة على يوستينوس وحرضوا الملك ضده، فألقى الملك القبض عليه مع ستة أشخاص آخرين. أُحضر الجميع أمام الوالي الذي طلب منهم السجود للآلهة الوثنية. رفض يوستينوس وصحبه الأمر وأعلنوا «اننا نعترف بإله واحد فقط مبدع جميع الأشياء المنظورة وخالق كل الكائنات... ونؤمن بأن يسوع المسيح ابن الله المنذَر به من الأنبياء هو المبشر والواعظ للجنس البشري بالخلاص». وهكذا أعلن الجميع أمام الوالي أنهم مسيحيون ويعبدون الإله الحقيقي ولا يسجدون إلا له. ثم قال الوالي ليوستينوس: «قل لي يا من تدّعي الفصاحة وتظن نفسك حاصلاً على الحكمة الحقيقية، إن كنت، بعد أن تُجلَد بقساوة ويُقطع رأسك، متأكداً ومقتنعاً بأنك تصعد إلى السماء». أجابه يوستينوس: «أرجو، بعد احتمالي ذلك، انني سأحصل على إتمام الوعد والمكافأة المعِدّة لأولئك الذين يحفظون بثبات قضايا الإيمان ويتمّمون بأمانة الوصايا التي أوصى بها المسيح». هدّده الوالي مجدداً فأعلن يوستينوس مع رفاقه أنهم مستعدون لتكبد العذابات حباً بيسوع المسيح: «هكذا ننال الخلاص لأننا بهذا النوع سنحضر أمامه تعالى بوجه مبتهج ونقف بوجه مبتهج في ديوان فادينا يسوع المسيح الرهيب».

اغتاظ الملك جداً فأمر بجلدهم أولاً ثم قطع رؤوسهم. وهكذا حصل فثبّتوا بإهراق دمائهم اعترافاتهم بالمسيح. واهتم بعض المسيحيين بدفن أجسادهم في مكان لائق. كان هذا في سنة ١٦٧. فبشفاعة القديس يوستينوس ورفقته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ زاوية الأخبار

* بطريرك الإسكندرية

يقوم قداسة البطريرك بطرس السابع، بابا وبطريرك الإسكندرية وكل أفريقيا، بزيارة رعائية إلى أبرشية الخرطوم وكل السودان. وهي الزيارة الأولى

لقداسته لهذا البلد الذي يشهد بعض الصراعات العرقية والطائفية. كما هي الزيارة الأولى لمسؤول كنسي كبير للسودان منذ ثلاثين عاماً. ويحمل قداسته إلى هذه الأبرشية، التي تقع جنوب شرق البلاد، رسالة المحبة والسلام، ويبارك الجهود المبذولة للحفاظ على الأرثوذكسية هناك.

يرافق قداسته عدد من المطارنة والكهنة والعلمانيين.

* ألبانيا

ببركة صاحب الغبطة أنستاسيوس، رئيس أساقفة تيرانا وكل ألبانيا، تتابع الكنيسة الأرثوذكسية الألبانية تقديم المعونة إلى مهجري كوسوفو الذين ما زالوا في ألبانيا. وقد رُصد مبلغ ١,٥٣١,٣٨٣ دولار أميركي من ميزانية هذا العام لهذه المساعدات. وتؤمّن الكنيسة الألبانية قسماً من هذا المبلغ فيما القسم الآخر عبارة عن مساعدات تقدّمها الكنائس الشقيقة والجمعيات الخيرية.

يذكر أن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تعتمد على الكنيسة الأرثوذكسية هناك لإدارة وتشغيل أكبر مخيم للاجئين الألبان والكوسوفيين في تيرانا، والذي يضم أكثر من أربعمئة شخص. وقد أبلغت المفوضية الكنيسة الأرثوذكسية بأن عدد اللاجئين في هذا المخيم سوف يتضاعف عن قريب. وتتركز جهود الكنيسة على تأمين المساعدات الغذائية والطبية ومواد التنظيف والملابس، إضافة إلى تأمين الدراسة لأكثر من ١٥٦٠ طالب عبر المساهمة في ترميم ثلاث مدارس سوف تستوعب هؤلاء الطلاب، وتأمين لوازم الصفوف من طاولات وكراسي وحاجيات الطلاب من كتب وقرطاسية.

إن الكنيسة الأرثوذكسية هي مثال حي لمحبة المسيح التي لا تميّز بين إنسان وآخر تبعاً لانتمائه الطائفي. وتذكر التقارير أن الكنيسة الألبانية أنفقت خلال السنوات الثلاث الأخيرة ما يزيد عن عشرة ملايين دولار لمساعدة مهجري كوسوفو.

صلاتنا إلى الرب القائم من بين الأموات أن يعين الكنيسة الأرثوذكسية الألبانية في شهادتها للمسيح، وينير عقول القادة السياسيين لحل مشاكل البلاد.